لسيّدةٍ تريد مواجهتهُ فاذن لها فلما دخلت اذا هي لوسيل صاحبتهُ بالهند فتلقاها محتفلاً ثم دعا شقيقتهُ وصهرهُ فاخبرهما بما كان من امرهِ وامرها فلم يدعاها تبرح مكانها حتى اتمّا عقد قرانهِ عليها

وفي ذات يوم وردت على يوسف رسالةٌ برقية من لندرة تستدعيهِ لأمورٍ مهمة فسافر وفي صحبتهِ فيليب والعروسان بقصد التسلي والنزهة وكان الداعي لهُ احد اشراف الانكليز فذهب اليهِ ولما مثل امامهُ اذا هو شيخٌ كبير ملقىً على سريرهِ. فسألهُ الشيخ عن شقيقتهِ وكانت اليس مع رفيقيها تنتظرهُ في العربة فدعاها ولما صارا كلاهما بحضرتهِ تحامل اللُرد بما بقي لهُ من القوة وقام فجثا امامهما فنهضا في الحال ورفعاهُ فضمهما بين ذراعيهِ وقبلهما قائلاً انا ذاهب لأسأل ابا كما الصفح عن اساءتي ثم اخذهُ من قوّة العواطف في تلك الساعة ما لم يحتملهُ ضعفهُ فانحنى عليهما واسلم الروح

ووُجد هناك رسالةٌ باسم يوسف قفضها فوجد في جملتها حكاية ما قاسى الشيخ من تبكيت ضميرهِ على ما فعلهُ بولدهِ الوحيد وما بذل من السعي في البحث عن آثارهِ وفي الختام يمنح يوسف ما سلب من والدهِ وهو لقب لُرد اف بدفُرد وكل املاكهِ وثروتهِ. فبكوهُ جميعاً واستمطروا على نفسهِ الرحمة والرضوان وسكن يوسف وزوجتهُ دار جدّهِ واسكن شقيقتهُ وزوجها بقربهِ ثم نقل ضريح والديهِ الى حديقتهِ فكان يزورهُ كل يوم ويمطرهُ من عبراتهِ ولم ينسَ ان يكافئ الكاهن والطبيب والعجوز التي ربّت شقيقتهُ وسار على خطة والدهِ في عمل الخير والمبرّات الى آخر حياتهِ

الزُهرة

هي ملاك جند الدُجى بل قائد معسكر الانوار بل الاهة الجمال قد استوت على عرشٍ من النضار اذا برزت في ثوب بهآئها فاكفهرّت لها الشمس من الحسد بل غشيتها حمرة الخجل بعد ما علتها صفرة الكمد فاقبل الهلال وقد انحنى بين يديها وسجد وأطافت بها حُور الكواكب كانهنَّ اترابٌ كواعب فوقفنَ لخدمتها متضائلاتٍ امام عظمة جلالها وقد ارخينَ شعورهنَّ من حولها فشبينَ من جمالها فما كادت تتجلى لهنَّ حيناً حتى توارت عنهنَّ بالحجاب وسرنَ في اثرها متتابعاتٍ حتى برقعهنَّ الصبح بابيض الجلباب

***

واذا رأيتها بارزةً في طليعة الكواكب وقد تجلّت في فلكها حين لا يبدو طالعٌ ولا غارب فاستلّت من الهلال سيفاً استقبلت بهِ نحر الظلمآء

ثم نادت في جيشها فاذا بهِ قد طبّق نواحي السمآء فبرز الرامي فأوتر قوسهُ وانتصب للنضال ووضع الجبّار يدهُ على سيفهِ ونادى يا للنزال وأشرع السماك رمحهُ فخفق لهُ فؤاد العذرآء واطلق المرّيخ سهمهُ فاذا هو مضرّجٌ بالدمآء وتتابع سائر الجيش بسلاحهِ فلا ترى الا وميضاً وبريقاً وأسنّةً قد غاصت في كبد الدجنّة فمزّقتها تمزيقاً فما اقبل جيش الصباح الا والافق مخضوبٌ بدم الدُجى وقد بلغ سيلهُ الرُبَى بل جاوز الرُبَى

***

واذا شخصت اليها العيون من اطراف الارض فاتصلت أهدابها بأشعّتها حتى كأن بعضاً معقودٌ ببعض واجتذبت اليها القلوب فطارت نحوها باجنحة الصبابة والهيام وصبَت اليها الارواح فامتزجت بروحانيتها امتزاج المآء بالمدام فاوحت اليها من اسرار الحب ما شغلها عن معرفة نفسها بعد ما تجلى لها من معاني الجمال ما ارتفعت بهِ عن مقام حسّها فاذا هي عاشقةٌ لكل ما يبدو لها من محاسن الصور وقد بثّت فيها من عوامل الفتنة ما يستعبد القلب والنظر فهي التي كحلت الجفون بالفتور وخلعت النحول على الخصور وزيّنت السوالف بالجَيَد ووشّحت المعاطف بالمَلَد وأودعت الاحداق سحر الدَعَج وبلّجت الثغور بضوء الفَلَج بل هي التي امرت القلوب بطاعة النواظر واغرت العقول بمعاصاة النصيح والزاجر وجمعت بين الجفون والسهاد وحببت السقم الى الاجساد وجعلت الحب وسيلة التآلف حتى بين دقائق الجماد

***

تلك الالهة الجمال التي عبدها الاوائل واقاموا لها المساجد والهياكل ورفعوا اليها الابصار والقلوب في أُخريات الليل وقُبيل الغروب فكانت مناط الآمال ومَصعَد الابتهال ومستودَع نجوَى العاشق واسرار الابكار العواتق اذا رقبنَ ظهورها تحت اذيال الديجور فخلونَ اليها يكاشفنها بمكنونات الصدور ويستمحنها الحيرة في الالهام والحُظوة في عيني من شئنَ من الانام اما نيٌّ تخترق الفضآء وتسافر بين الارض والسمآء فتنزل مكانها طمأنينة الاتكال بين حرارة الرغبة وبرد الآمال

***

لا جرم انهُ اذا كان بعد الشمس والقمر نجمٌ حريٌّ بالعبادة فاحرى النجوم بذلك الزُهرَة لما أنها اعظم الكواكب نوراً واصفاهنَّ شعاعاً لا يدانيها في ذلك الا المشتري والشعرى اليمانية بيد أنهما اذا قوبلا بها عن كثب كسفت بهآءهما بتألق شعاعها ولا سيما عند معظم نورها فانها تظهر حينئذٍ والشمس في كبد السمآء . وقد عبدها جميع امم الارض قديماً حتى لا تكاد تبحث في تاريخ أمةٍ الا تجد لتلك العبادة آثاراً في مسطوراتها ومخلّفاتها من هياكل وتماثيل وغيرها وممن عبدها العرب وكان لها معبدٌ بصنعآء اليمن وهو قصر غُمدان المشهور بناهُ على اسمها الضحّاك ولبث بيت عبادةٍ لها حتى هدمهُ عثمان بن عفّان

والزُهرَة ولا شك اول كوكبٍ عُرف من السيّارة لسرعة حركتها في فلكها بحيث انها لا تثبت مدة اسبوعين في موضعٍ واحد من السمآء . وهي تكون تارةً نجم مسآءٍ وتارةً نجم صباح تبعاً لموضعها من الشمس لانها اذا

كانت الى شرقيّ الشمس ظهرت بعد مغيبها في الافق الغربيّ فكانت نجم مساءٍ وهي تظهر اولاً لمحةً ثم ترتفع يوماً بعد يوم حتى يبلغ معظم ارتفاعها ٤٨ درجة وحينئذٍ تلبث فوق الافق ما يزيد على اربع ساعات وبعد ذلك تعود فتنزل كما ارتفعت حتى تمرّ من امام الشمس فتبرز من غربيّها وتظهر قبلها في الافق الشرقيّ فتكون نجم صباح وتستمرّ في الشرق كذلك ثم تعود فتبرز من وراء الشمس في الافق الغربيّ وهلمّ جرًّا

وكانت الزهرة قديماً كبقيّة اخواتها من السيّارة تُعتبَر مضيئةً بذاتها لانهم لم يروا تغيُّراً في منظرها فكانت عندهم في حدّ سائر النجوم الثوابت. واول من خالفهم في ذلك كوبرنيكس الفلكي المشهور من رجال القرن السادس عشر فانهُ لما بدّل هيئة النظام البطليموسي جزم بان السيارات ينبغي ان تكون كراتٍ مظلمة كالارض وان ما ترسلهُ الينا من النور انما هو منعكسٌ عن اشعّة الشمس. فاعتُرض عليهِ بانهُ لو كان الامر كذلك للزم ان يظهر كلٌّ من الزهرة وعطارد باوجهٍ مختلفة كاوجه القمر ولما لم يسعهُ البرهان على ذلك من الطريق الحسي بقي قولهُ مهملاً حتى حققهُ غاليلاي في القرن التالي بعد اختراعهِ للمرقب سنة ١٦١٠ فانهُ اول ما وجههُ الى الزهرة فظهرت لهُ فيها كلّ رُؤى القمر من الهلال الى البدر

اما بُعد الزهرة من الشمس فهو ٧٢٣′ من بُعد الارض وفلكها قريبٌ من الاستدارة التامة لان اهليلجيتهُ لا تزيد على ٠٠٦٨، وهي تتمّ دورتها حول الشمس في ٢٢٤ يوماً او سبعة اشهر ونصف تقطع في اليوم منها نحو ١٨٥٠٠٠٠ ميل او ٢١ ميلاً في الثانية فهي اسرع من الارض قليلاً. الاّ

انهُ لما كانت الارض مشايعةً للزهرة في مسيرها اذ كلتاهما تتجهان من الغرب الى الشرق لزم ان لا نراها اتمّت دورتها الاّ بعد ٥٨٤ يوماً او تسعة عشر شهراً ونصف وهي مجموع سنتي الارض والزهرة معاً غير انها تخفى نحو خمسة اشهر من هذه المدة تكون فيها محتجبة باشعة الشمس لانها تقترن بها في كل دورةٍ مرتين تخفى في كلٍّ منهما نحو سبعين يوماً نصفها قبل الاقتران والنصف الآخر بعدهُ وتظهر لنا سبعة اشهر نجم مساء وسبعة اشهر نجم صباح

واما بعدها عن الارض فيختلف كثيراً فانها في الاقتران الادنى تبعد نحو ٢٥٠٠٠٠٠٠ ميل وفي الاعلى تبعد نحو ١٦٠٠٠٠٠٠٠ ميل وذلك انها في الوضع الاول تكون بين الارض والشمس فلا يكون بين الارض وبينها الا عرض المنطقة الفاصلة بين الفلكين وفي الثاني تكون وراء الشمس فيكون بيننا وبينها مسافة قطر فلكها مع عرض المنطقة المذكورة. ويختلف قطرها المرئيّ بحسب ذلك فيكون بين ٦٥″ و ١٠″ الا انها في الحال الاولى تكون في المحاق اي يكون الموجّه الينا منها نصفها المظلم فلا نراها وفي الحال الثانية تكون بدراً الا ان قطرها الظاهر حينئذٍ لو امكن ان نراها يكون اقل من سدس ما يكون عليهِ وهي في حال المحاق. ولذلك فان معظم نورها لا يكون في شيء مما جاورهاتين الحالتين ولكن انور ما تكون عليهِ اذا بلغ تباينها اي بعدها عن الشمس شرقاً او غرباً ٥° ٣٩′ وذلك قبل الاقتران الادنى او بعدهُ بمدة ٦٩ يوماً وحينئذٍ يكون المنوَّر منها ربع قرصها فتكون كانها هلال اربع. ومتى كانت كذلك فقد تُرى في ابّان النهار كما سبقت الاشارة اليهِ الا ان ذلك يختلف فيها بين سنة وسنة تبعاً لميل فلكها وهي

تعود في كل ثماني سنين الى الاقتران بالشمس في الموضع نفسهِ من السمآء لانها حينئذٍ تكون قد اتمت خمس دوراتٍ من دوراتها المرئية فتعود رؤيتها من الارض الى مثل ما كانت عليهِ في الموعد السابق

واما دوران الزهرة على نفسها فما اشتغل العلمآء واهل الرصد في تحقيقهِ زمناً مديداً واستخدموا لذلك اعظم المراقب فلم يحصلوا من معرفتهِ على يقين. وذلك ان ظاهر هذا السيّار شديد البياض واللمعان لا يكاد يبدو عليهِ ظلٌّ ولا تظهر فيهِ سمةٌ واضحة الحدود بخلاف غيرهِ من الاجرام المتحركة حولنا فان كل واحدٍ منها يُرى على سطحهِ شيءٌ من السواد كالمحو الذي نراهُ على وجه القمر فاذا تحرك الجرم على محورهِ انتقل ذلك السواد من موضعهِ حتى يخفى ورآء الجرم ثم يعود من الناحية الاخرى حتى يرجع الى حيث كان فيكون قد تمّ هناك دورةٌ كاملة وبمثل هذا عينوا الدورة اليومية في السيارة وعرفوا ميل محاورها على سطوح افلاكها ومنهُ عُلم ان القمر لا يدور على نفسهِ دورةً مستقلّة. وقد عُني الراصدون بذلك في الزهرة منذ اختُرعت الآلات المقرّبة وممن عانى ذلك الفلكيّ كاسيني فانهُ بعد جهد المراقبة ظهر لهُ شيءٌ من المحو على سطحها فبقي يراقبهُ على ايامٍ متعدّدة فوجدهُ كل يوم يظهر في مثل الساعة من الامس في مكانهِ الاول على فرق زهيد تمثّل لهُ فحكم بانها تدور على نفسها في ٢٣ ساعة و ١٥ دقيقة وذلك سنة ١٦٦٦ . ثم تتبع العلمآء بعدهُ تحقيق ذلك فنظر فيهِ بيانكيني سنة ١٧٢٦ فاحصى لها ٢٥ دورة في ٢٥ يوماً و ٨ ساعات فخرج لكل دورةٍ ٢٣ ساعة و ٢٢ دقيقة . وتتابعت الرصود من غير هذين فكان الخارج متقارباً على

فرق ثوانٍ قليلة وحينئذٍ حكموا بان ستها تكون مؤلفة من ٢٣١ يوماً من ايامها وهي السنة النجمية وان ستها الشمسية تكون ٢٣٠ يوماً . ثم راقبوا محور دورانها وحددوا ميلهُ على دائرة البروج فجعلهُ بيانكيني ٧٥° وجعلهُ غيرهُ ممن جآء بعدهُ ٥٥° وهو آخر ما جروا على اعتبارهِ . وقد بنوا على ذلك مباحث وتفاصيل شتى في تعيين المناطق والفصول وطول الايام وقصرها وما يتبع ذلك من التفاوت في الحر والبرد وحالة الاحيآء هناك من النبات والحيوان الى غير ذلك من الاحوال المترتبة على هذا الوضع الى ان اعلن شيابارّلي الفلكي الايطاليـاني سنة ١٨٩٠ نتيجة مراقباتهِ الطويلة فزعم ان هذا السيّار لا يدور على نفسهِ الدورة اليومية ولكنهُ في دورانهِ حول الشمس يوجه اليها احد صفحيهِ على حدّ حال القمر مع الارض وعليهِ فيكون احد نصفيهِ معرَّضاً ابداً لاشعة الشمس والنصف الآخر في ظلمةٍ دائمة . فكان ذلك مدعاةً للفلكيين الى معاودة الرصد والتحقيق فمنهم من وافق الفلكي المذكور ومنهم من نازعهُ والى الآن لم يقع الاجماع على رأيٍ في هذه المسئلة الغامضة ولا سيما وان هذا السيار على ما ثبت لهم بالمشاهدة وتحليل الطيف يسبح في ضمن حجاب كثيف من جوّهِ المتلبد بالابخرة والغيوم بحيث ان اشعة الشمس تنعكس عن هذا الجوّ لا عن سطح السيار . وحينئذٍ فان هذا الامر سيبقى محجوباً بحجاب الريب الى ان يتلطف ما هناك من الابخرة المتكاثفة ويشفّ عما تحتهُ ولعل ذلك لا يتم الاّ في الوفٍ من السنين والله اعلم

ولا بأس ان نفكه القرآء في هذا المقام بايراد ابياتٍ تمثلت للقريحة

الضعيفة في بعض ليالي الفراغ والزهرة في معظم تألقها وذلك في اثناء شهر فبراير من سنة ١٨٨٣ وهي من قصيدةٍ طويلة تتضمن وصف الزهرة والمقابلة بينها وبين الارض نقتصر منها على الابيات الآتية

قف بي نحيّ رُباها ايها الحادي ... فتلك ابياتها في عدوة الوادي
قد خيّمت باللوى الغربيّ ضاربةً ... عليهِ اطنابها من غير اوتادِ
مقيمةٌ لم تُقِم الاّ على سفرٍ ... ما ينقضي بين تأويبٍ وإسآدِ
تمشي الهُوَينى كما مرّ النسيم ضحًى ... في هودجٍ من شعاع النور وقّادِ
يحجّب البعد سيماها فان قرُبت ... صدّت دلالاً فزادت غلّه الصادي
يسارق الطرف عين الشمس منظرها ... فالشمس من دونها حلت بمرصادِ
حتى اذا هجعت في ليلها ظفرت ... منها العيون بلمح الميسم البادي
فنبئينا رعاكِ الله جارتنا ... بل انتِ سوغٌ لنا من عهد ميلادِ
قد انقطعنا فما ان بيننا صلةٌ ... ولا سبيلٌ لملاّحٍ ولا حادِ
ولم يكن بيننا سدٌّ وقد ضربت ... ايدي الفضا دون لقيانا بأسدادِ
ما إن ينالكمُ للبرق منطلقٌ ... ولا يقرّبُ منكم سيرُ منطادِ
وانما رُسلنا الانوار حاكيةً ... نار الصليب تبدّت فوق انجادِ
تهدي لنا عنكمُ رمزاً تعود لكم ... بمثلهِ بين اصدارٍ وايرادِ
يا ليت شعريَ هل تدرينَ موضعنا ... وهل لديكِ رجالٌ اهل أرصادِ
وهل رأوا ركبنا النوريَّ منطلقاً ... في ليلهم بين تصويبٍ واصعادِ
وهل اقاموا لنا مثل الذي رفعت ... آباؤنا لكِ من تكريم عبّادِ
فذي هيا كلكِ الشمّآء قد شخصت ... هاماتها في الذرَى امثال اطوادِ

رأوكِ للحسن معبوداً وما وهموا ... فالحسن معبود عُشّاقٍ وزُهّادِ
لعلّ للارض هذا الحظّ عندكمُ ... وانها لو علمتم دارُ افسادِ
وعلكِ اليوم خلوٌ من مفاسدها ... وان نكن قد خُلقنا خلق أندادِ
انتِ الفتيّه لا تدرين مفسدةً ... اين المفاسد من اخلاق اولادِ

* * * * *

ضلّ الجميع وتاهوا في غوايتهم ... فما اهتدى حاضرٌ منهم ولا بادِ
واصبح الزور مرفوع اللوآء بهم ... وقائل الحقّ موصوفاً بإلحادِ
قام الخصام بما لا يعلمون لهُ ... كنهاً ولم ترَهُ أبصار أشهادِ
شغبٌ تفاقم في الاجيال واضطرمت ... به العداوات دهراً بين اكبادِ

* * * * *

أما كفاكم بني الانسان شقوتكم ... وأنكم للمنايا جدُّ وُرّادِ
وما تعانون من جهد الحياة وقد ... امست كوقرٍ ثقيل فوق اكتادِ
ومن تقلب اطوار الزمان بكم ... كانما هو حربآءٌ باعوادِ
ومن مراغمة الاقدار طاردةً ... لكم كتيّار يمٍّ حول طرّادِ
ومن مزاولة الارزاق بُغيتها ... تزاحمون باقدامٍ واعضادِ
ومن مكابدة الادوآء ساطيةً ... ومن نوازلَ لا تُحصى بتعدادِ
فما لكم تُسعدون الدهر بعضكمُ ... لكيد بعضٍ بهِ يا شرّ اسعادِ

* * * * *

وانما ارضنا دار السلام لمن ... يبغي السلام ودار الحرب للعادي
وكلنا فوقها رهن الزوال فلا ... اضلّ بعد الكُفى من سعي مزدادِ